مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

القواعد الأساسية لبناء المناهج الدراسية في تدريس علم النفس الإسلامي
المقدمات المصدرية والمخرجات المعرفية كلية علم النفس الإسلامي أنموذج

أ.د محمد محمود مصطفى[1]

mohamediact@gmail.com

الملخص:

إن هذه الورقة العلمية تهدف في المقام الأول لإظهار الفاعلية والنفعية والأهمية لمفهوم علم النفس الإسلامي، واعتماد المناهج العلمية التدريسية في كلية علم النفس الإسلام على الأسس العلمية لوضع المناهج، كما هدفت إلى الكشف الواضح عن الأهمية المعرفية والأكاديمية لعلم النفس الإسلامي بكل فروعه وأقسامه.

كما هدفت الورقة إلى التركيز على التجربة النظرية والعملية العلمية لكلية علم النفس الإسلامي من حيث نشأتها وطبيعة البرامج الأكاديمية المطروحة فيها لطلاب ما قبل التخرج وما بعده، وطرائق التدريس والبحث العلمي المطبق في المواد الدراسية المختلفة، مع نقل تجربة مقاربة التدريس المشترك لمواد شرعية إسلامية مع مواد نفسية تربوية أصيلة ومراقبة المنتج العلمي المتحقق لدى الطلبة والخريجين.

ولعمق البحث وأهميته وللاستفادة من المرونة المتاحة في مناهج البحث تم استخدام مناهج الاستقراء والوصف، وكذلك المنهج النقدي المقارن للوصل للنتائج الشاملة، حيث خلصت الورقة إلى عمق وأصالة المنهج في الإسلام، وأن النظرية المعرفية الإسلامية متينة الأصول، قوية القواعد، واضحة الثمرة والفروع، وأن واضع المنهج في كلية علم النفس الإسلامي قد اعتمد على المكونات الأساسية للمناهج النافعة؛ العقدية، والفلسفية، والمجتمعية، والنفسية.

كلمات مفتاحية:

النفس، علم النفس الإسلامي، منهج، مقرر، النظرية المعرفية، مفهوم.

---

[1] عميد كلية علم النفس الإسلامي.

Basic rules for building curricula in teaching Islamic psychology

Source Introductions and Cognitive Outputs

College of Islamic Psychology Model

D. Mohamed Mahmoud Moustafa[2]

mohamediact@gmail.com

Abstract:

This scientific paper aims primarily to show the effectiveness, utilitarianism and importance of the concept of Islamic psychology, and to adopt the scientific curricula taught in the Faculty of Islamic Psychology on the scientific foundations for curriculum development, and also aimed to clearly reveal the cognitive and academic importance of Islamic psychology in all its branches and departments.

The paper also aimed to focus on the theoretical and practical scientific experience of the College of Islamic Psychology in terms of its inception, the nature of the academic programs offered therein for pre-graduation and post-graduate students, and the teaching methods and scientific research applied in the various vertical subjects.

With the transfer of the experience of the joint teaching approach to Islamic legal subjects with authentic psycho-educational materials and monitoring the scientific product achieved by students and graduates.

[2] Dean of Islamic Psychology college.

Due to the depth and importance of the research and to take advantage of the flexibility available in research methods, induction and description methods were used, as well as the comparative critical approach to reach comprehensive results.

The paper concluded that the depth and originality of the curriculum in Islam, and that the Islamic cognitive theory is solid in origins, strong rules, and clear fruits and branches.

The curriculum developer at the College of Islamic Psychology relied on the basic components of the beneficial curricula: doctrinal, philosophical, societal, and psychological.

Keywords: Psychology: .

Islamic psychology, methodology, course, cognitive theory, concept

مقدمة:

الْحَمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يُرِيد، ذِي الْعَرْش الْمجِيد والبطش الشَّدِيد، الْهَادِي صفوة العبيد إِلَى الْمنْهَج الرشِيد، الْمُنعم عَلَيْهِم بعد شَهَادَة التَّوْحِيد بحراسة عقائدهم عَن ظلمات التشكيك والترديد، السالك بهم إِلَى اتِّبَاع رَسُوله الْمُصْطَفى واقتفاء آثَار صَحبه الأكرمين الْمُكرمين بالتأييد والتسديد، المتجلي لَهُم فِي ذَاته وأفعاله بمحاسن أَوْصَافه الَّتِي لَا يُدْرِكهَا إِلَّا من ألْقى السّمع وَهُوَ شَهِيد، الْمُعَرّف إيَّاهُم أَنه فِي ذَاته وَاحِد لَا شريك لَهُ، فَرد لَا مثيل لَهُ، صَمد لَا ضد لَهُ، مُنْفَرد لَا ند لَهُ ولا نديد.[3]والصلاة والسلام على معلم الناس الخير المديد، وبصرهم بالمنهج الواضح السديد، وأعانهم على سلوك الطريق الظاهر الفريد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أتباع الصراط المستقيم، وحماة المنهج القويم، وعلى من سار على نهجهم المبارك واتبع هديهم التليد إلى يوم المزيد، أما بعد؛

فمنذ الفصل العالمي بين حياة الناس وهيمنة الفكر اللاهوتي الكنسي، وعمليات التفكيك العلمانية الكبرى جارية داخل منظومة النفس الإنسانية بما تحمله من فطرة وقيم مستمدة من السماء، حيث أُعلن عن موت الإله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، وبدأت عمليات تحطيم القيم والثوابت والمطلقات والأخلاق وكل ما لا يخضع للحس والتجريب، وعمليات استدراج وسحب الإنسان من موقعه كمركز مؤسس المنهج في إطار فلسفة التكريم له والتسخير لما حوله، إلى كونه دائرًا في فلك مادي جدلي طبيعي واستهلاكي نفعي.

وقد نجحت الفلسفات المادية إلى حد كبير في تحويل عالم غيب الإنسان إلى عالم طبيعته، وأن تستبدل الجنة الأخروية فردوسًا أرضيًا وهميًا زائفًا، وفق محددات صارمة غير خاضعة للنقد في ذهن معتنقيها، وكأنها الحق المطلق كالربح والإنتاج ورأس المال والاستهلاك والمتعة واللذة والحرية والإشباع... حيث تمكنت هذه القيم المشوهة من صهر الإنسان في بوتقة الإلغاء لفطرته وقيمه الخاصة ومعنى وجوده، بل وأزالت الفروق بين ما هو طبيعي وما هو شاذ.

وأخطر مشكلات الإنسان الغربي، والتي غدت مشكلات عامة عالمية كونية، بحكم الهيمنة الاستعمارية والتوسع، هي مشكلة فلسفة الإنسان نفسه الذي لم يبق على فطرته ككائن مكرم مفطور على التوحيد ومحبة الله وحب الخير لنفسه وللآخرين، بل تحوّل إلى كائن مشوه؛ تم العبث بمعتقداته الروحية

---

[3] - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: 505هـ)، قواعد العقائد المؤلف: المحقق: موسى محمد علي الناشر: عالم الكتب – لبنان الطبعة: الثانية، 1405هـ - 1985م (ص50-51).

والحياتية والنفسية وأخلاقه وقيمه، ومع غفلة أصحاب الفطرة السليمة، وغياب المحاور المناقش المجادل، وسلطة الغلبة الإعلامية، طغت هذه الأفكار المادية والفلسفات المرَضية إلى المجتمعات فأفرزت لهم، ثم لنا، مشكلات الإدمان وإسقاط القدوة والانتحار والإباحية وحرية وهمية وحقوق أقليات مصطنعة مخترعة مناهضة للسواء ومعارضة للفطرة ومرحبة بالشذوذ، وما تبع ذلك من هدم قيم الأسرة وافتقاد للمعنى من الحياة ثم الإلحاد، وهذا يعكس – بلا شك – عند العقول السوية والأفهام الندية قصور وعجز هذه المنظومة الفلسفية المادية عن تلبية الحاجات الفطرية والمجتمعية والحضارية في نفوس معتنقيها.

ومن هذا التمهيد باتت الحاجة ملحّة، بل ضرورية ومفروضة العين على علماء وأكاديميين يتبنون الفكر الإسلامي ومنهجه في قيادة المجتمع إلى اقتحام الميدان في كل مجالات الحياة الإنسانية، ولا سيما الفلسفة والاجتماع والنفس والحياة ليصححوا ما أصبح منهجًا عامًا في العالم، وينسحب ويتسرب ويسري على عالمنا العربي والإسلامي.[4]

وفي الظروف الحرجة التي تضل فيها البشرية الطريق السوي لتنظيم حياتها وحلّ مشكلاتها في شتى نواحي الحياة، وحينما يعجز المفكرون عن وضع الحلول المناسبة لإنقاذ الإنسانية عامة، ويصلون بتجاربهم وفلسفاتهم ونظرياتهم المادية إلى طريق مسدود، يقف الإسلام دائمًا متبنيًا الدور المنوط به لإنقاذ البشرية من حمأة المادة وويلاتها، ويصف لها العلاج الناجع في هذا الصدد؛ لأنه المنهج الصالح لكل زمان ومكان، وهو، بحق، الكفيل بتنظيم حياة الإنسان خاصها وعامها في شتى النواحي الاقتصادية الفردية والجماعية، لأنه المنهج الرباني العادل الذي لا ظلم فيه ولا حيف، بعكس النظم الوضعية النفعية التي تظلم فريقا لتحقيق رغبات فريق آخر. وهذا مشاهد في الأنظمة الشيوعية والاشتراكية.[5]

ولم تعد اليوم الدراسات التأصيلية لقضايا المنهج القويم في الاستمداد من الوحي بقسيميه المعصومين؛ الكتاب والسنة من نوافل الجهود أو هوامش الاهتمامات بل مطلبًا ضروريًا، وحاجة مصيرية؛ لتوجيه مسيرة الأمة نحو الطريق الأصوب في الاعتقاد والفهم والعمل، بعيدًا عن التفرق والانحراف والتحريف

---

[4] - مائة النفس والحياة، كتاب مخطوط للباحث الورقة رقم 2و3

[5] - برناوي، محمد إبراهيم، خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: ربيع الآخر - رمضان 1401 هـ (ص202-203) بتصرف.

الذي يفضي إليها الخلل في المناهج العلمية التدريسية والبحثية والاضطراب في الموازين المعتمدة لا سيما في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ولعل من أعظم ما أبدع وأنتج العقل البشري في العلوم الإنسانية والطبيعية فكرة (المنهج) التي تعني الطريقة المثلى للوصول إلى غاية ما، له بداية ونهاية، له مكونات مصدرية ومخرجات معرفية سلوكية حضارية، لتصب في مصلحة البحث العلمي والتنظير الأدبي والأخلاقي ووصف المدخلات وضبط المخرجات وتحرير التقنيات والوسائل التي تحقق الهدف المرجو منه.

ولهذا أردت أن أضع بين أيديكم تجربة مجلس الأمناء في إنشاء وتنظيم مناهج كلية علم النفس الإسلامي كأول كلية رائدة مختصة بتدريس علم النفس الإسلامي[6] كأحد أهم فروع العلوم الاجتماعية والإنسانية في العصر الحديث والأمد المستقبلي، وتخريج دفعات من الكوادر البحثية المؤهلة للتعاطي مع فروع علم النفس المتنوعة في كل مجالات الحياة من منظور معرفي إسلامي، في ثنايا البحث عن المنهج ومعناه وأهميته وعلاقته بالنظرية المعرفية ولا سيما الإسلامية وغيره من الموضعات المتعلقة.

وبنيت بحثي هذا على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة مع قائمة المصادر والمراجع.

لمقدمة التمهيدية: ذكرت أهمية الموضوع ومدى حيويته ونفعه للمؤسسات الأكاديمية التعليمية وللناس بصفة عامة.

الفصل الأول: معنى المنهج وأهميته للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بتدريس علم النفس الإسلامي وللمدرس والطالب، وبيان قسمي المنهج المعتمدين بين الباحثين.

الفصل الثاني: النظرية المعرفية ومصدرية المعرفة في الإسلام.

الفصل الثالث: سمات ومميزات التأصيل الإسلامي لعلم النفس الإسلامي.

الفصل الرابع: قواعد للتأصيل المنهجي التي يسلم بها الباحث في علم النفس الإسلامي من العثار.

الفصل الخامس: عقلية التعلم وإطلاق يد الباحث في علم النفس الإسلامي وفق قواعد التأصيل، ونموذج كلية علم النفس الإسلامي.

الخاتمة

---

[6] - وقد أقامت جامعة المصطفى العالمية في إيران، وهي جامعة أهلية، بكالوريوس علم النفس والمعرفة الإسلامية عام 2023.

الفصل الأول:

معنى المنهج وأهميته للمؤسسات الأكاديمية التي تعنى بتدريس علم النفس الإسلامي وللمدرس والطالب، وبيان قسمي المنهج المعتمدين بين الباحثين

كانت اللغة العربية، ولم تزل، من أهم الدوائر المعرفية في البنية العقلية لذوي لسانها، والتي تبناها المخزون التراكمي العلمي العربي الإسلامي، فلم ينطلق بعيدًا عنها، أو هاربًا منها كما يفعل بعض الناس الآن، بل اتكأ عليها واعتمدها ونظر في مدلولاتها على الألفاظ ومعانيها، فليس بمستغرب ولا مستنكه أنها تحمل في خزائنها أصول الألفاظ، وفي مقدمتها في بحثي هذا لفظ "المنهج"، ومن النافلة أن ننص على أن لفظ المنهج مصطلح قرآني ولفظ نبوي أصالة .

قال الله تعالى:" لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا "[7]، وفي حديث العباس رضي الله عنه: قال :لم يَمُت رسول الله ﷺ حتى تركككم على طرقٍ ناهجة.[8]

وقوله: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)، قال بعضهم: الشَرعَةُ الدينُ والمنهاج الطريق، وقيل: الشرعة والمنهاج جميعًا الطريق، والطريق ههنا الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أتِي مِنْهُ بألفاظ تُؤَكدُ بِها القصة والأمر.[9]

الشرعة والشريعة واحد، والمنهاج: الطريق الواضح. فان قيل: كيف نسق (المنهاج) على (الشرعة) وكلاهما بمعنى واحد؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن بينهما فرقًا من وجهين: أحدهما: أن (الشرعة) ابتداء الطريق، والمنهاج: الطريق المستمر، قاله المبرّد.

والثاني: أن (الشرعة) الطريق الذي ربما كان واضحًا، وربما كان غير واضح، والمنهاج: الطريق الذي لا يكون إلا واضحًا، ذكره ابن الأنباري، فلما وقع الاختلاف بين الشرعة والمنهاج، حَسُنَ نسق أحدهما على الآخر، والثاني: أن الشِّرعة والمنهاج بمعنى واحد، وإنما نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظين.[10]

---

[7] - سورة المائدة: الآية: 48

[8] - قال الإمام البوصيري في "إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة" (2/ 527): رواه إسحاق ورجاله ثقات إلا أنه منقطع، ورواه الطبراني من طريق ابن عيينة، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن العباس، فهو متصل صحيح الإسناد.
قال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (17/ 510) عقبه: هو متصل صحيح الإسناد.

[9] - الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق،(المتوفى: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م (184/2)

وعند العرب: (أنهج) الطَّرِيق وضح واستبان، وَالدَّابَّة سَار عَلَيْهَا أَو عمل حَتَّى أعيت، وَالْعَمَل وَنَحْوه، فلَانا أتعبه حَتَّى نهج، وَالثَّوْب أخلقه، (انتهج) الطَّرِيق استبانه وسلكه، (استنهج) الطَّرِيق صَار نهجًا وسبيل فلَان سلك مسلكه، (الْمِنْهَاج) الطَّرِيق الْوَاضِح وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {لكل جعلنَا مِنْكُم شرعة ومنهاجا} والخطة المرسومة (محدثة) وَمِنْه منهاج الدراسة، ومنهاج التَّعْلِيم وَنَحْوهمَا (ج) مناهج (الْمَنْهَج) الْمِنْهَاج (ج) مناهج (الناهج) يُقَال طَرِيق ناهج وَاضح بَين وَطَرِيقَة ناهجة وَاضِحَة بَيِّنَة (النهج) الْبَين الْوَاضِح يُقَال طَرِيق نهج وَأمر نهج وَالطَّرِيق الْمُسْتَقيم الْوَاضِح يُقَال هَذَا نهجي لَا أحيد عَنهُ (ج) نهجات ونهج ونهوج.[11]

وأنهج الطريق: وضح واستبان: صار نهجًا واضحًا...استنهج الطريق: صار نهجًا واضحًا، ...النهج: الطريق الواضح البين المستقيم (ج) نهجات ونهوج ونهج، طريق نهجة وناهجة: واضحة، المنهج والمنهاج: الطريق الواضح.[12]

"مَنْهَج/ مِنْهَج [مفرد]: (ج) مَناهِجُ ومَناهيجُ: مِنْهاج، طريق واضح "منهج الإسلام- يتَّبع في حياته مِنْهجًا قويمًا، منهاج، وسيلة محدّدة توصِّل إلى غاية معيَّنة "مناهج البحث العلميّ- منهج الدّراسة- لكلِّ علم مِنْهجه، المنهج العلميّ: خُطَّة منظّمة لعدَّة عمليّات ذهنيَّة أو حسيَّة بُغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها- مناهج التَّعليم: برامج الدِّراسة، وسائله وطرقه وأساليبه.

مَنْهَجة [مفرد]: وضع خُطَّة مرسومة "مَنْهَجةُ البحث، التَّعليم- مَنْهَجَةُ العَمَل في المشروع".[13]

ويمكن القول أن المنهج : هو الطّريق المؤدي إلى التعرّف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد، التي تهيمن على سير العقل، وتحدّد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة ، وبعبارة موجزة هو:

[10] - الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى - 1422 هـ (555/1).

[11] - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة بدون تاريخ (2/ 957)

[12] - رضا، أحمد، معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة) الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت عام النشر: 1380، (5/ 557)

[13] - عمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: 1424هـ) معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م (3/ 2291)

القانون أو القاعدة التي تحكم أيّ محاولة للدراسة العلمية في أيّ مجال، وعليه فإنّ المناهج تختلف باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكلّ علم منهج يناسبه، مع وجود قدرٍ مشترك بين المناهج المختلفة.[14]

والمنهجية: نسبة إلى المنهج؛ وهو طريقة تنظيم المعلومات؛ بحيث يكون عرضها عرضًا منطقيًّا سليمًا، متدرجًا بالقارئ من السهل إلى الصعب، ومن المعلوم إلى المجهول، منتقلًا من المسلمات إلى الخلافيات، متوخيًا في كل ذلك انسجام الأفكار وترابطها.

وجاء تعريفه بأنه: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين.[15]

وتعتبر المصطلحات الفنية أداة فعالة في نضج المفاهيم الأساسية في الحياة الثقافية العامة لأمة من الأمم، فهي عامل جاد في تطور البحث العلمي، ولا نكون مبالغين إذا جعلناها جزءًا من المنهج الذي تكتمل به شخصية كل علم من العلوم، كما لا يسع طالب العلم أن يسلك شعاب فن من الفنون، أو يخوض غمار الفهم فيه إلا على أساس دقيق من الإلمام بمصطلحاته، فبالمصطلح العلمي تتضح المدلولات للكلمات وينكشف الغطاء عن كثير من الألفاظ المتداولة والعبارات المستعملة في الكتب على مختلف التخصصات؛ فالاعتناء به والسعي لبيانه وتوضيحه وشرحه مساهمة في البحث العلمي والفكري الجاد أمارة بارزة للرقي الاجتماعي والحضاري، ولم يكن المصطلح الشرعي في يوم ما وليد أحداث مستجدة، ولا نتيجة إفرازات فكرية وعلمية طارئة، ولكن له جذور ضاربة في أعماق التاريخ فقد ظهر في الحياة الفكرية بظهور الإسلام ونزول القرآن في وسط العرب الخلص لسانًا ونسبًا ودارًا.[16] ومن هذه المصطلحات الدقيقة والمهمة (المنهج).

---

[14] - عسيري، أحمد بن علي الزاملي منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، إشراف: عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد المحسن التركي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1431 هـ (صـ37)، ويمكن الاستئناس بما جاء في "العلم والبحث العلمي" لحسين عبد الحميد رشوان (صـ 143، 144)، و"منهج البحث العلمي عند العرب" لجلال محمد عبد الحميد موسى (صـ 273).

[15] - أبو سليمان، عبد الوهاب بن إبراهيم، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، دار الشروق للنشر والتوزيع الطبعة: السادسة طبعة منقحة 1416هـ-1996م (صـ28)

[16] - ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي (المتوفى: 909 هـ)، الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي المحقق: رضوان مختار بن غربية، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991 م (1/ 101)

وقد اعتاد الكتاب الغربيون أن يرموا الفكر العربي الإسلامي بأنه فكر غيبي، ينقصه الالتزام بالمنهج العلمي، وقد طال الجدل حول هذا الموضوع، فنسب الغربيون غير المنصفين المنهج العلمي الحقيقي إلى فرنسيس بيكون وديكارت في القرن السابع عشر الميلادي، وجون ستيوارت ميل في القرن التاسع عشر الميلادي، في حين أن الدراسات المنصفة انتهت إلى نتيجة مفادها أن تفكير العرب العلمي يعتبر أساسًا لهذا المنهج، ولا يختلف كثيرًا عن المنهج العلمي الحديث.[17]

وبناءً على ما سبق يمكن اعتبار المنهج كنظام من الخبرات المعرفية التي تقدمها المؤسسات التعليمية الأكاديمية للمتعلمين، سواء المتعلق بالعلم من الوحي، أو العلم من مصادر معرفية أخرى، لتساعد الخريجين على اكتساب هذه المعارف وتطويرها وتطويعها بما يلائم حاجة المجتمعات التي يعيشون فيها، تحت إشراف هذه المؤسسات، وذلك بهدف تحقيق نموهم المعرفي والشخصي نموًا شاملًا ومتوازنًا، وتمكنهم من السلوك قولًا وعملًا وفق شريعة الإسلام.

والمنهج بهذا المفهوم ينبغي أن ينطبق على جميع المؤسسات في المجتمع المسلم؛ لأن جميع المؤسسات في هذا المجتمع مسؤولة عن الفرد والأسرة والمجتمع المسلم، فالمسجد ومؤسسات الإعلام والنوادي الثقافية والاجتماعية والرياضية ومؤسسات الصناعة والتجارة والزراعة والخدمات، جميعًا تتحمل مسؤولية وضع المنهج الذي يعتمده الأفراد عن طريق التزامهم بالسلوك الإسلامي، وتخطيط برامجها وتنفيذها والإشراف عليها وتقويمها بمقتضى مدى إسهامها في تحقيق المنتج المعرفي في سلوك منسوبيها وفي غيرهم، وبذلك فإن المسؤولين في كل مؤسسة مكلفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستقامة على منهج الله تعالى بحيث يكونون قدوة في السلوك الإسلامي.[18]

وإذا كان المنهج في الإسلام يعني مصدرية المعرفة عن طريق الوحي كالمرجع الأكبر والأهم والأصيل في كل معارفنا عن الإنسان والحياة، فإنه قد شابه عند مجموعة من الباحثين والمتصدرين له بعض الخلل

---

[17] - دويدري، رجاء وحيد، البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية، دار الفكر المعاصر-بيروت-لبنان-دار الفكر-دمشق- سورية الطبعة: الأولى - جمادى الآخرة 1421 هـ- أيلول سبتمبر 2000م (ص137)، ويمكن النظر إلى ما كتب فرانز روزنتال في "مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي".

[18] -شوق، محمود أحمد، الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، دار الفكر العربي عام النشر: 1421هـ- 2001م(ص: 32)

والاضطراب، وتجلى هذا الخلل في منهج سلبي ناقص له تداعيات خطيرة على الأمة في واقعها ومستقبلها، وهو منهج التجزيء والتقسيم:

إذ يعمد الباحث إلى قراءة واعتماد نص من النصوص الشرعية وإغفال بقية النصوص في المسألة الواحدة، ثم يستمد الحكم الشرعي أو القول المعتمد عنده باعتماد هذا المنهج التقسيمي التجزيئي، ويتبع ذلك إهمال دلالات السياق الموضوعي أو البلاغي أو المقاصدي، مع قلة الاهتمام بأسباب النزول في القرآن الكريم أو أسباب الورود في السنة النبوية، وعدم التمييز بين الأدلة ولا السياقات اللغوية فيها، ولعل من أوضح عواقب وتداعيات هذا المنهج ظهور بعض التطرف في الإثبات والنفي، بل حدا ببعضهم إلى إنكار السنة أو حتى تكفير المخالف للنص الذي اعتمده واقتصر عليه، ولا يخفى ما لهذا المنهج التجزيئي الانتقائي من الضرر.[19]

واستجماع الأدلة واستيعاب النظر في حُجج المخالف قبل تكوين الرأي في المسائل، والحكم على المختلف فيه بالدراسة والتحرير؛ نصفةً للخَصم، وتحقيقًا للأمانة العلمية[20]، التي تحجُر الباحثَ عن استثقال لَمِّ حُجج الخصوم، أو الاستهانة بدفن بعضها، فربما كان للخصم متعلق قويٌّ، أو مرجح جليٌّ، بحيث لو اطَّلع عليه المخالف بإنصاف، لاسْتَأْخَر مذهبه ونصَر قول مخالفه، ومال إلى مقتضى أدلَّته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تُستوعَبَ الأقوال في ذلك المقام، وأن يُنبَّه على الصحيح منها، ويُبطَل الباطل، فأمَّا مَن حكى خلافًا في مسألة، ولَم يستوعب أقوال الناس فيها، فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي ترَكه".[21]

فالإنصاف داعية لصاحبه أن يستعرضَ ما تمكَّن من تقييده بحثًا، من جميع الأدلة والأقاويل، مُعربًا في سبيل نُصرة الحق عمَّا له وما عليه، بسلامة صدرٍ، وطمأنينة نفس، مستحضرًا قولَ الله تعالى: " يَا أَيُّهَا

---

[19] - وقد اعتمد هذا المنهج بعض المستشرقين فأفسدوا أيما إفساد من أمثال جولدزيهر وشبرنجر.

[20] - أبو زيد، بكر بن عبد الله، مجموعة بحوث تأصيليَّة عن الأمانة العلمية، في كتاب: "تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال"؛ (صـ 113) من (الردود).

[21] - الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (المتوفى: 728هـ)، مقدمة في التفسير من "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م (صـ64)

الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ "[22] وكما قال وكيع بن الجرَّاح: "أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلاَّ ما لهم"[23]

أما منهج التكامل فهو المنهج الحق الذي يعمد الباحث فيه إلى جمع كل الأدلة في الموضوع الواحد مع فهمها والإلمام بمقاصد الشريعة، ومقاصد هذه الأدلة وسياقاتها المعرفية والتاريخية، ومفاهيم الدلالات في هذه النصوص، مع إعمال قواعد فهم الدلالة؛ مثل المنطوق والمفهوم، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والأهم الناسخ والمنسوخ، فهو منهج يسلم الباحث والدارس والمدرس فيه من العثار، ومن الأخطاء المنهجية الكارثية، بل ومن التبعات الشرعية والمسؤولية المجتمعية المتعلقة بحياة الناس وحركتها.

إن التكامل المعرفي هو "العملية والصورة المعرفية المتحقِّقة بتفعيل الرؤية الإسلامية للوجود في كل مجالات المعرفة، وكما تتكامل علوم كل مجال في داخله، تتكامل المجالات فتُشكِّل النسق المعرفي الإسلامي".[24]

وجامعاتنا في عمومها تعيش أزمة وانفصالًا بين الهوية الحضارية والانتماء، ومسايرة الرَّكْبِ العلمي والتَّقدمي الذي عليه الجامعات في الغرب، والطالب الجامعي حاله من حال جامعته، فهو يواجه نظريات مستوردة وأفكارًا تهدد هُويته الحضارية، وشخصيته الإسلامية الفطرية.[25]

وإن منهج البحث في علم النفس الإسلامي يتطلب العلم بالعلوم الاجتماعية، والعلوم الشرعية، وأحكام الحلال والحرام، وفقه التربية، وفهم قواعد الشريعة، ودراسة الواقع والأحداث المعاصرة، مع بناء الفكر الإسلامي الناقد حتى يستطيع أن يبني فكرته الإسلامية التربوية، ويزن الأفكار التربوية الغربية التي بين يديه، وما قامت الحضارة الإسلامية وازدهرت إلا نتيجة للتكامل بين المعارف، "وقد استشعر كثير من

---

[22] - سورة النساء : الآية 135

[23]- سنن الدارقطني (1/ 43)، رقْم (39).

[24] - عواشرية، السعيد، (2010)، متطلبات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وتحقيق أهدافه ومعيقات ذلك، المؤتمر العلمي الدولي التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي من الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي، ص: 772.

[25] - حسين، عقيلة، (2010)، ضرورة التكامل المعرفي في التحصيل العلمي والتحصين الحضاري: مقاربة تأصيلية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، المؤتمر العلمي الدولي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص: (233-258)، ص: 248.

لمائنا السابقين هذا الأمرَ، فتجد الواحد من هؤلاء قد اجتمعت فيه معارف الفلسفة والكيمياء، والطب والفقه واللغة، بل لا يُعدُّ من هؤلاء عالمًا بحق إلا إذا وصل الغاية في علمه".[26]

الفصل الثاني:

النظرية المعرفية ومصدرية المعرفة في الإسلام

قال تعالى:" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"[27] إذ قال تعالى معرفًا لعباده ومذكرًا لهم عظيم نعمته عليهم مستدعيًا منهم شكره على أن جعلهم من أهلها "اليوم أكملت لكم دينكم" الآية، وتأمل كيف وصف الدين الذي اختاره لهم بالكمال والنعمة التي أسبغها عليهم بالتمام إيذانًا في الدين بأنه لا نقص فيه ولا عيب ولا خلل ولا شيء خارجًا عن الحكمة بوجه، بل هو الكامل في حسنه وجلالته ووصف النعمة بالتمام إيذانًا بدوامها واتصالها، وأنه لا يسلبهم إياها بعد إذ أعطاهموها، بل يتمها لهم بالدوام في هذه الدار وفي دار القرار، وتأمل حسن اقتران التمام بالنعمة وحسن اقتران الكمال بالدين وإضافة الدين إليهم إذ هم القائمون به المقيمون له، وأضاف النعمة إليه إذ هو وليها ومسديها والمنعم بها عليهم؛ فهي نعمته حقًا وهم قابلوها وأتى في الكمال باللام المؤذنة بالاختصاص، وأنه شيء خصوا به دون الأمم، وفي إتمام النعمة بعلى المؤذنة بالاستعلاء والاشتمال والإحاطة، فجاء أتممت في مقابلة أكملت، وعليكم في مقابلة لكم، ونعمتي في مقابلة دينكم، وأكد ذلك وزاده تقريرًا وكمالًا وإتمامًا للنعمة بقوله "ورضيت لكم الإسلام دينًا".[28]

وأصبحت الرسالة الخاتمة تمثل نهاية لتاريخ النبوة الطويل من لدن آدم عليه السلام، والرسالة الخاتمة تمتاز بخصيصة الهيمنة، إضافة لما تحقق لها من رصيد تجربة تاريخية للأنبياء مع أقوامهم، وما انتهى إليها من أصول الرسالات السماوية، التي صدقتها وقومت مسيرتها، قال تعالى: "شَرَعَ لَكُم مِّن الدين ما وصى به نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَيْنَا بِهِ إِبْراهيم"[29] وقال: "وأنزلنا إليكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا يديهِ مِنَ

---

[26] - صالح، عمار، (2016)، أثر التكامل المعرفي في بناء العملية التربوية (التعليمية)، مجلة كلية العلوم الإسلامية، ع: 46، ص: 246.

[27] - سورة المائدة: الآية 3

[28] - الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم (المتوفى: 751هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون، (302/1).

[29] - سورة الشورى: الآية 13

الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْه"[30] ، والهيمنة تعني - فيما تعني - الرقابة والمراجعة والتقويم وبيان مواطن الخلل وتبيان علل التدين التي لحقت بالأمم السابقة، وهذا يشكل للمسلم رصيدًا عظيمًا وعمقًا حضاريًا وبعدًا تاريخيًا وتمنح قدرة على توظيف هذا التاريخ المديد في بناء الحاضر ورؤية المستقبل، والإفادة من التجربة الإنسانية جميعًا؟

فالخاتمية تعني انتهاء تاريخ النبوة إلى الإسلام، الرسالة الخاتمة، يقول تعالى :" مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا"[31]

كما تعني الخاتمية للنص الإلهي القرآني، من وجه آخر الخلود، وعدم الانتهاء وإنما امتداد العطاء والإنتاج حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وحيث إن التحريف والتأويل والمغالاة والتقليد وتسرب علل التدين أمور محتملة وقابليات مركوزة في الطبيعة البشرية، وإن التصويب من السماء توقف فهذا يدل على أن الأمة صاحبة التجربة التاريخية والرسالة الخاتمة هي المنوط بها الحراسة والتصويب ونفي نوابت السوء واستمرار الحذر من السقوط وتسرب علل الأمم السابقة والاضطلاع بالتجديد والتقويم والمراجعة من خلال المعايير التي تمنحها نصوص الكتاب والسنة، أو بمعنى آخر جعل العقل - محل التكليف - واجتهاده هو الحارس الأمين للاعتداد بالقيم الدينية ومدلولات النصوص حتى ينشئ الله النشأة الآخرة.

هذا من جانب ومن جانب آخر، فإن من لوازم الخاتمية، وتوقف النبوة عن التصويب، وإمداد الرحلة البشرية بالأحكام المناسبة لحركتها وحمايتها من الانحراف: الخلود للنصوص والقيم الإسلامية، وهذا يعني أن نصوص الرسالة الخاتمة بطبيعة خاتميتها وخلودها هي نصوص مجردة عن حدود الزمان والمكان والإنسان، وأنها قادرة على الإنتاج والاستجابة لمعالجة المشكلات في كل زمان ومكان وإنسان، ذلك أن التجرد والتجريد يعني إمكانية التوليد والتجديد في كل عصر، وهذا المعنى هو الذي جعل الاجتهاد أحد مصادر التشريع الرئيسة، إضافة إلى إبراز أهمية معرفة العقل ودورها في الامتداد بقيم ومعرفة الوحي وخطورة هذه المهمة من جانب آخر، حيث المطلوب الفقيه أو المجتهد أو المفسر أو المبين بيان مراد الله في

---

[30] - سورة المائدة : الآية 48

[31] - سورة الأحزاب: الآية 40

الأمور المستجدة والباحث في العلوم الإنسانية ولا سيما علم النفس الإسلامي، بكل ما يترتب على هذا البيان من ثواب وعقاب ومصالح ومفاسد، سواء بالنسبة للباحثين أو بالنسبة لسائر المؤمنين بالإسلام.

وهذه مهمة تتطلب قدرًا عاليًا من الإمكانات العلمية والأكاديمية والمعرفية وتملك الأدوات كما تتطلب صفات شخصية متميزة في الذي يتصدى لها، ليس أقلها سلامة النية، وحسن القصد، وإدراك أبعاد المهمة والإيمان بعظمة مصدر النص وعصمة النص نفسه.[32]

إن الكلام عن النظرية المعرفية من منظور إسلامي أو ما يمكن أن نطلق عليه النظرية المعرفية الإسلامية هو البوابة الكبرى التي سينفتح معها ذهن الباحث وتنسجم معها طريقة تفكيره في مصادر المعرفة وطريقة التعامل معها والوصول بها إلى الهدف والغاية منها؛ فإن كانت مصادر المعرفة مختلفة، وطرق التعامل معها مختلفة، فالنتائج والمخرجات لا شك ستكون كذلك مختلفة، فاختلاف المصادر فارق أصيل، وخلاف تضاد في بعض فروعه مع المخالفين، وطرق التعامل مع المعرفة قد يؤدي الاختلاف فيها إلى التنوع والمرونة، فلكل وجهة هو موليها، أما الأهداف فلابد أن تكون واضحة ومحددة بحيث يمكن الانتفاع بها، أما المخرجات فهي قابلة كذلك للتنوع بتنوع وسائل التعامل مع المعرفة.

إن النظرية المعرفية في مجملها تبحث في وصف ما يسمى بـ"النموذج المعرفي" الذي هدفه معرفة مكان هذا الإنسان في هذا العالم وذاك الوجود، ويكون هذا بالبحث في الذات العارفة (وهو الإنسان)، وكذلك موضوع المعرفة أو القضية محل المعرفة من حيث إمكان حدوث المعرفة لدى الذات عن موضوع المعرفة، وحدود هذه المعرفة، والهدف، والطبيعة والقيمة.

إن نظرية المعرفة هي منهج العقل في التفكير، حيث توجهه وتجعل له الإطار الأنسب له لتلقي المعرفة من مصادرها، وطرق التعامل معها وتحقيق الغاية منها، وهذا ليس فقط من خصائص العملية المعرفية، بل من خصائص الإنسانية والمنهج وتحقيق الهدف من الوجود في الأرض.

ولك أن تتخيل الاختلاف في النموذج المعرفي، وما يمكن أن يسببه من آثار عميقة على الحياة الإنسانية، فتنقلب المعارف والمجتمعات رأسًا على عقب بسبب الاختلاف الجذري في النظرية المعرفية أو النموذج

---

[32] - حسنة، عمر، البعد المصدري لفقه النصوص مقدمة من مطبوعات كتاب الأمة العدد 113 جمادى الأولى 1427 السنة السادسة والعشرون (ص5-7) بزيادة ونقص وتصرف غير مخل.

المعرفي، ولعله هو المشاهد في صراع الحضارات، وما يمكن تسميته مرحلة غلبة الجنون، كما يحدث في فرض الشذوذ وتشويه الفطرة.

فالمعرفة هي نتاج التفكير والمفاهيم لدى الإنسان من خلال تعامله مع كل ما يحيط به، ويمكن تعريفها بأنها مجموعة المعاني والمعتقدات والمفاهيم والأحكام والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به.[33]

يمكن أن نتصور أن النموذج المعرفي الإسلامي هو الرؤية المعرفية الكلية التي يقدمها الإسلام؛ للألوهية، والطبيعة والكون، والوجود الإنساني.

إن نظرية المعرفة كما يرى فاضل عباس مبحث يهتم بعلاقة الذات العارفة بالموضوع المراد معرفته، مبحث يهتم بعلاقة الذات العارفة بالعالم الخارجي، وهذا يعني أنها مبحث يهتم أولًا وقبل كل شيء بما تمتلكه هذه الذات العارفة من أدوات وإمكانيات تمكنها من معرفة ما حولها في عالمنا الخارجي، ولكل مذهب في الفلسفة رأي بأوليات الأدوات المعرفية هذه، ورأي بعلاقة هذه الذات بالموضوع، ورأي بيقينية المعرفة من احتمالها، ورأي بإمكان المعرفة من عدمها، ورأي باستقلالية الموضوع عن الذات من عدمه، وكل هذا يعني أن المعرفة مشكلة من مشكلات الفلسفة، والمشكلة هي – كما أراها- كل ما لا نتفق عليه، وتزداد المشكلة قوة إذا ما اختلفنا اكثر، وتضعف إذا ما اتفقنا أكثر، والفلسفة من عالم الاختلاف كالفن والسياسة والأخلاق والدين من عالم التنوع ومن عالم الكثرة لا من عالم الاتفاق، فالعلم يوحدنا والفلسفة تفرقنا.[34]

ولعل النظرية المعرفية الإسلامية المنبثقة من مصادر الإسلام الأصيلة النقلية والعقلية قادرة أن تقدم للفكر الغربي والعالم كله علومًا ومعارف عميقة التنظير وقوية التأثير في حياة الإنسانية كلها بله المسلمين، بما لهذه النظرية المعرفية الإسلامية من مميزات وخصائص، فمن مميزات التصور الإسلامي للمعرفة:

---

[33] - زكي، أحمد، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، صـ234، بيروت – لبنان، 1977.

[34] - عباس، محمد فاضل، نظرية المعرفة إمكانها أدواتها مصادرها طبيعتها كما فهمها العرب المعاصرون، كلية الآداب، مجلة الآداب، آذار 2020، عدد رقم 132 صـ337

- التكامل المعرفي (الشمولية)، فالإسلام منهج متكامل، تشريع شامل لكل مجالات الحياة، فهو إيمان وعمل، عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، فكر وعاطفة، أخلاق وعمران، دين شامل، أي:هو دين ودولة كسب وغنى وعدل وقضاء، هو كل شيء في الحياة، الإسلام كشرع سماوي أراد الله الحكيم سبحانه منه أن يفي بحاجة الإنسان لما ينظم له كل شؤون الحياة، فوضع له القواعد الكلية والأصول العامة التي من شأنها أن تستوعب المكان والزمان، ولم يتطرق لجميع جزئيات الحياة وتركها لاجتهادات الإنسان حسب حاجات عصره، وإن النظرة القاصرة لمفهوم الشمولية للإسلام هو الذي أنتج الفهم الخاطئ الذي ظهرت أعراضه في فئات مختلفة من المجتمع، فالشريعة منفتحة على جميع المعارف والعلوم الإنسانية إمدادًا واستمدادًا في مقابل النظرة الغربية التحيزية للعلوم والتي تعتبر أن منتهى العلوم والمعارف هو الغرب، والأصل أن العلوم كونية لا يمكن صبغها بصبغة محلية.
- العلم ينادي بالعمل(كهدف لعملية المعرفة)، وهذه ميزة ترتقي عن حوارات المناطقة وتهافتات الفلاسفة؛ فليس من العلم ما يبقى به الإنسان حائرًا بين أقوال هؤلاء وهؤلاء طول ليله حتى إذا أصبح الصباح لم يكن يدري ما الصواب ولا الخطأ، ولا ما يعتقد ولا ما يفعل، فالعلم الحقيقي هو الذي يقود للعمل (أي عمل)، من التعبد إلى النفع العام إلى خدمة الإنسانية، ولهذا كان مفهوم العبادة واسعًا في الشريعة، فكل عمل خير يراد به وجه الله تعالى فهو عبادة، ومن هنا يتبين أحد الفروق الكبرى بين النظرية المعرفية عند المسلمين وعند غيرهم.
- الإنسان خليفة الله في الأرض، فالمستخلَف (بفتح اللام) يؤدي المهام التي كلفه بها المستخلِف (بكسر اللام)، وهو هنا الله تعالى بمنهجه وقرآنه وأحكامه، فحري بالإنسان ذاك الخليفة أن يسير في الأرض بمنهج ونظام وقانون من استخلفه وأعطاه هذه المكانة، وهيأ له القيام بهذه المسؤولية المنوطة به، فإذا كان الغرب حصر المعرفة في الحس والتجربة وما يقبله العقل؛ فإن الإسلام يعلي من مكانة الوحي باعتباره مصدرًا للمعارف وموجهًا لحركة العقل والحرص أن تجنح إلى النظر العقلاني الصرف، وبالتالي يحصل ذلك التكامل والتماسك بين مصادر المعرفة.
- القصد والهدف: وهي ميزة تتسم بها العلوم والمعارف في التصور الإسلامي، فإذا كانت النظرة الغربية تقول بأن غاية المعرفة هي المعرفة في حد ذاتها، فالنظرية المعرفية الإسلامية تتميز بالقصدية دفعًا للمفاسد في الدنيا والآخرة وجلبًا للمصالح فيهما معًا، وهو جزء من ميزة العلم بقصد العمل.

- الأخلاق: سؤال الأخلاق وتخليق العلوم والمعارف ظل يطرح نفسه في دراسة نظرية المعرفة الغربية، إذ تبين أن غياب السؤال الأخلاقي أو القصد الأخلاقي في المتن الغربي أفرز مجموعة من عوامل الدمار على كل المستويات نتيجة للجشع الغربي في تسريع عجلة العلوم فكان من أكبر المتضررين من غياب الوازع الأخلاقي في الحركية المعرفية الغربية هو الإنسان والطبيعة نتيجة لعوامل التخريب.

ولعله يظهر جليًا دون خفاء الفروق الكبرى بين نظرية المعرفة الإسلامية وقرينتها في الفكر الغربي عمومًا، وهوعندي في المصدر والهدف، فبينما مصدر المعرفة عند المسلمين يبدأ بالوحي والفطرة والعقل والتجربة مع الانفتاح الكبير لكن المنضبط على علوم ومعارف الآخرين المتمثل في أدلة القياس وشرع من قبلنا والعرف والمصالح المرسلة، بينما هو عند الغرب العقل التجربة والملاحظة مع إهمال الوحي أو (فكرة الإله) من العملية المعرفية.

أما الهدف ففي الإسلام تعبيد الخلائق والمجتمع لله تعالى بتنفيذ منهج الله تعالى الذي ارتضاه للبشرية مع تحقيق مصالح العباد والتوازن المفقود في حياة البشر، أما عند المدرسة الغربية فيتمحور الهدف من المعرفة حول الإنسان باعتباره مركزًا للكون، وفيها إشارة إلى عبودية الهوى ومراعاة المزاج المتغير لدى المجتمعات التي من السهل التأثير عليها بكل السبل الممكنة.[35]

[35] - مصطفى، محمد محمود، المدخل إلى علم النفس الإسلامي، مكتبة الأسرة العربية، إسطنبول- تركيا، الطبعة الأولى 2023 (ص25-29) بتصرف يسير.

الفصل الثالث:

سمات ومميزات التأصيل الإسلامي لعلم النفس الإسلامي

إن المنهج العلمي يعتبر من أفضل الأدوات التي يستخدمها الإنسان؛ ليوسع من آفاق معرفته ويزيد من المعلومات المختبرة والموثوق بها، وهو طريق الباحث للوصول إلى المعارف والحقائق، و وسيلته للتحقق من مدى ثبات وصدق صحة هذه المعارف والحقائق.

إن المنهج العلمي يرفض الاعتماد الكلي على العادات والتقاليد، وحكمة السابقين القدماء وتفسيراتهم، وآراء أصحاب السلطة من أي نوع، والخبرة الشخصية؛ في سبيل الوصول الى الحقيقة، ويفرض على الباحث المطبق له الفحص الدقيق، والتقصي المنظم، والملاحظة الموضوعية النزيهة، والتفكير المنطقي السليم، ومن الخطأ في ضوء مقتضيات المنهج العلمي أن نعتقد بأن كل ما جرت عليه العاده صحيح، أو أنه من الممكن دائماً الوصول إلى الحقيقة بالرجوع إلى ما تراكم من حكمة العصور السابقة، مع الانتباه إلى قيد العصور وما ينقضه من القرون الخيرية الأولى كأحد مصادر الشريعة المعتمدة بقطع النظر على الاختلاف في بعض فروعها.

وعلى الرغم من أن الحقائق التي نصل إليها عن طريق المنهج العلمي قابلة للتغير؛ وذلك بفعل ظهور عوامل جديدة، فإن المنهج العلمي الذي يتبع كطريقة للحصول على تلك الحقائق لا يتغير تبعًا لتغير الحقائق نفسها، وهذا لا ينافي أن المنهج العلمي قابل للتطوير والتعديل اذا ما ثبت عدم صلاحيته أو وجد ما يستدعي التطوير والتعديل.

ومن خصائص المنهج العلمي أنه يستند إلى ظواهر وحقائق يمكن لكل شخص مدرب أن يلاحظها في كل زمان ومكان، ويستلزم تطبيق المنهج العلمي بأن ينتقل الباحث من الأشياء إلى المعاني، وأن يلاحظ جميع الظواهر التي يدرسها حتى الاجتماعيه منها على أنها أشياء، ولا يجوز له أن يصل إلى معرفة الأشياء عن طريق الآراء الشائعة.

وهو يتميز أيضاً بتحرره من التحيز العاطفي، أي بموضوعيته، وبإلتجائه إلى الفروض وإلى القياس الكمي الدقيق، وإلى التصنيف والتحليل؛ حتى يصبح الفرض قانوناً بعد التحقق من صدقه عن طريق إعادة الملاحظات والتجارب.

ومن خصائص المنهج العلمي أيضاً أنه يجمع بين الاستنباط والاستقراء، وبالتالي بين الفكر والملاحظة، وعندما يستخدم الإنسان المنهج العلمي؛ فإنه يتحرك بين الاستنباط والاستقراء، و ينهمك في ما يعرف بالتفكير التأملي.

ويمتاز المنهج العلمي أيضاً بالمرونة والقابلية للتعدد والتنوع؛ لتعدد وتنوع العلوم والمشاكل، وقد يكون من المستحيل وضع مجموعة جامدة من القواعد المنطقية؛ ليتبعها الباحث من في مجالات العلوم الطبيعة، والآثار، والرياضيات، وعلم النفس، والاجتماع، والتربية، والتاريخ. إن العلوم تختلف عن بعضها البعض؛ وبالتالي تتعدد المناهج العلمية.

السمات المميزة للمنهج العلمي الإسلامي القائم على النظرية المعرفية الإسلامية:

- ❖ أنه منهج يقوم على الحجة والبرهان واليقين

إذ لا عبرة بالتخرصات والأهواء والآراء المرسلة بلا خطام ولا أزمّة، والعبرة بالحجة والدليل والبرهان.

- ❖ أنه رباني التشريع

وهي فكرة مصدرية المعرفية التي أساسها الوحي المقدس الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فمصدر الإله الخالق الذي خلق الإنسان ويعلم ما خلق، وإن الوحي الذي نزل على رسول الله وفي كتبه هو المصدر الأساسي الثابت للمعرفة، والإيمان بكتب الله المنزلة على رسله جزء من الإيمان بعقيدة التوحيد:"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ"[36]

وإن كتاب الله هو كل ما نزل على رسله، وقرر وحدة ألوهيته ووحدة قوامته، فهو كتاب واحد في حقيقته، أوتي اليهود نصيبًا منه وهو التوراة، وأوتي النصارى نصيبًا منه وهو الإنجيل، وأوتي المسلمون الكتاب كله، وهو القرآن، باعتبار القرآن جامعًا لأصول الدين كله، ومصدقًا لما بين يديه من الكتاب: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ"[37]

---

[36] - سورة آل عمران: الآية 23

[37] - سورة الأنعام: الآية 38

ولقد خلق الله البشر، وهو أعلم باحتياجاتهم، فتكفل برزقهم: "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"[38]

وتكفل بتعليمهم وتربيتهم؛ فأودع فيهم قوى الإدراك الظاهرة والباطنة: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ"[39]

وتكفل بهدايتهم، فأرسل إليهم الأنبياء والرسل لإقامتهم على أمر الله: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ"[40] ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو صاحب الرسالة الخاتمة التي بها تمام الدين وتمام النعمة: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا"[41]

- ❖ أنه منهج ذو قيم وموازين خاصة ومعايير مستقلة ولكل قيمة مفهومها الإسلامي الخاص الذي تختلف به عن سائر الحضارات

فكل قيمة معرفية وسلوكية ومبدأ حياتي إلا ولله تعالى في منهجه له حد وتعريف ومقصد، وقد يختلف، أو غالبًا ما يختلف مع تلكم المفاهيم في الحضارات الأخرى؛ فالصديق عندنا من الصدق وهو الذي يصدق الكلم والنصح والدلالة على الخير، والصديق عندهم تعني المواتي والموافق.

- ❖ أنه إنساني لكل بني آدم لا يختص بعرق أو جنس أو لون

فليس منشؤه الرجل الأبيض أو الأصفر أو الأحمر أو الأسود، بل هو منج رباني لكل البشر، فما يسري على عرق أو جنس يسري على بقية الأعراق والأجناس.

- ❖ أنه منهج عدل مطلق

فمخرجات المنهج العلمي أو البحثي إذا صح الاستدلال والاستمداد من الشريعة فقد أتى بالعدل والإنصاف والحماية والرعاية والعناية والرحمة للعالم كله وليس فقط لبني الإسلام.

- ❖ أنه منهج اختيار وظاهر

---

[38] - سورة هود : الآية 61

[39] - سورة النحل : الآية 78

[40] - سورة النحل : الآية 36

[41] - سورة المائدة: الآية 3

فلا إكراه للإنسان عامة والباحث خاصة في اختيار موضوعاته وطريق البحث ومنهج البحث، فلا إجبار ولا إلزام، وعليه القبول بتبعات هذه الاحتيارات العلمية مع القدرة على الاستدلال لهذه الاختيارات والدفاع عنها.

❖ أنه منهج حق يجب قوله ويحرم كتمه

صلاح الدنيا والأخرة، صلاح البشرية وهدايتها، منهج يستخلص الطاقة والقدرة للوصول إلى الخير المطلق في كل فرع من فروع علم النفس الإسلامي؛ حيث يسعى للوصول إلى غاية المعرفة في كل تخصص منذ الميلاد وحتى الوفاة على المستوى الفردي والجمعي والمؤسسي.

❖ أنه منهج حب وتقدير

للمصيب أصبت، مع الدعم والتشجيع، ومع المخطئ أخطأت مع العون والمساعدة للانتفاض على الخطأ ومحاولة التصحيح والتوجيه ثم الوصول إلى النجاح بالإنجاز المرجو.

❖ أنه منهج الأخلاق

في أدبيات العلم والبحث والتجربة والمخرجات والنتائج.

❖ أنه منهج عمل

وليس ترفًا نظريًا، أو معرفة مجردة، أو علم بلا عمل، فالعلم ينادي بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

❖ أنه منهج مؤمن

يحفزه الإيمان، ويدعمه الإيمان، ويحيط له الإيمان في كل خطوة من خطواته، ومرحلة من مراحله.

❖ أنه منهج تنوع

يتبع الاحتياجات الإنسانية والمجتمعية من المنهج وحتى المخرجات، وهذا التنوع يزيد من الأفرع العلمية والأكاديمية ولابد من الوفاء بأعداد الخريجين في كل فرع وقسم وتخصص.

❖ أنه المنهج الوحيد الذي للمصيب فيها أجران وللمخطئ أجر واحد

وهو أصل في إطلاق يد الباحث والعالم والمثقف داخل الأطر والحدود الشرعية لتحصيل أدوات البحث والاجتهاد، ومع استفراغ الجهد والوسع فيطمئن الباحث الكفء إلى تحقق الأجر حتى مع الخطأ المحتمل.

- ❖ أنه منهج يراعي سنن الله في المجتمعات وتجنب الأدواء الاجتماعية

فهو من الله تعالى الأعلم بخلقه في حياتهم ويراعي فيهم الاختلاف والتنوع فجاءت كل توجيهات الشرع في مصلحة الفرد والمجتمع.

- ❖ أنه منهج توسط واعتدال

فلا إفراط ولا تفريط، فالوسطية منهج قرآني نبوي.

- ❖ أنه منهج يخرج عباقرة أفذاذًا

فالواقع والتاريخ يثبت – بلا شك – قدم السبق لعلماء الإسلام في مجالات العلوم الإنسانية، والطبيعية.

- ❖ أنه منهج يدعو إلى الهمة العالية من الصغير والكبير

فالله يحب من المسلمين معالي الأمور ويكره لهم سفاسفها.

- ❖ أنه منهج ضمير ورقابة داخلية ووازع إيماني

فأدبيات البحث العلمي وحماية الحقوق ورعاية الأسرار والانتباه للحوائج النفسية الفردية والمجتمعية أصل شرعي قبل أن يكون علميًا.

- ❖ أنه منهج شمول ومفاهيم واسعة

والاتساع والمرونة أصل كبير فيه فلا شاذة ولا فاذة إلا وللمنهج الإسلامي قول ورأي وعلم ومعرفة.

- ❖ أنه منهج يجعل بناء الإنسان هو الأهم

وفق منهج الله تعالى، فهو من خلقه وهو أعلم به، سبحانه، وشرع له ما يصلحه في كل حالة يمر بها.

- ❖ أنه منهج له مقياسه الخاص المتفرد

ففي الوقت الذي تتصور بعض المذاهب الإنسان حقيرًا لا قيمة له، ولا بد له من الفناء المطلق كالنرفانا الهندية، وبعضها الآخر قدّمه كإله الدنيا وسيد الكون كالحضارة المادية المسيطرة في الوقت الحاضر، فالإسلام صاحب المنهج الخاص المتميز الشامل قدم الإنسان بوصف خليفة الله تعالى، فليس هو الحقير وليس هو المسيطر، وإنما هو في مقام سيادة التكليف: يحمل الأمانة، ومكانه في الكون والطبيعة مكان الوكيل الذي سُخرت له هذه الأكوان تسخيرًا معلنًا ومحكومًا بالحكمة.

الفصل الرابع:

قواعد للتأصيل المنهجي التي يسلم بها الباحث في علم النفس الإسلامي من العثار

إن التأصيل وإرساء القواعد هو الأصل في أي عمل علمي وأكاديمي له انعكاسه المجتمعي والفردي، ويوفر التأصيل المنهجي الفعال للمعلمين والطلاب وللقادة وأصحاب المصلحة في المجتمع خطة وبنية قابلة للقياس لتقديم منتج جيد من المعرفة وحاملها.

ويحدد المنهج نتائج التعلم والمعايير والكفاءات الأساسية التي يجب على الطلاب إظهارها قبل التقدم إلى المستوى التالي، يعمل المنهج المبني على الأدلة بمثابة خريطة طريق للمعلمين والطلاب للمتابعة على طريق النجاح الأكاديمي.

فالمناهج العلمية والبحثية المؤصلة تأصيلًا شرعيًا وعلميًا وأكاديميًا ومجتمعيًا تنتج :

- متعلمًا باحثًا ناجحًا.
- فردًا واثقًا مستقرًا ثابتًا.
- شخصًا مواطنًا متعاونًا مسؤولًا.
- إنسانًا فاعلًا ملتزمًا مساهمًا في نهضة من حوله أفرادًا وجماعات.

وقد تكلم العلماء من كل تخصص وفي كل فرع في المناهج وفلسفتها ومصادرها ومخرجاتها وطرق تقييمها وتقويمها، إلا أن هناك أسسًا في غاية الأهمية رعاها منهج الإسلام وانتبه لها ودل على أهميتها، فمن ذلك:

- الهدف والغرض؛ إذ لابد أن يكون هدف أي منهج واضحًا، وغرض هذا المنهج محددًا، فإذا كان هدف علم النفس رصد السلوك وفهمه وتحليله وتوقعه ثم توجيهه، فلابد أن يكون المنهج المعد لطلبة ما قبل التخرج أو ما بعده يصب لتحقيق هذا الهدف أو بعضه، ولما يكون الهدف محددًا ييسر ويسهل الخطوات التالية لتصميم المناهج.
- المعتقدات، وهي مسألة في غاية الأهمية، وليس يقصد هنا الاعتقاد الإسلامي في الله تعالى، بل المقصود بالمعتقدات هنا النظريات المعرفية، من حيث المصادر وطرق التعامل مع هذه المصادر، وبالتالي التعامل مع المنتج المستخلص من هذا المعادلة.
- الأفكار الكبيرة، وهي كذلك – والله – مسألة كبيرة، فضعف الهمم، وغياب الثقة بالنفس، والتشكيك في القدرات، وتهيب المباحث العلمية، والإحجام عن الاقتحام لمسائل الناس لها أحوج، والمنهج الإسلامي بها أليق وأجود، أدى إلى تعجب بعض الناس، بل والإنكار من بعضهم لفكرة علم النفس الإسلامي، فكلما صغر عقل الإنسان لم يستوعب الأفكار الكبيرة.

ومن القواعد المهمة والتوجيهات المفيدة للتأصيل للمناهج العلمية التعليمية في علم النفس الإسلامي:

1) الحذر من تحريف علم الشريعة وعلم النفس.

فأنى لباحث مؤمن بالشرع مؤمن بالحاجة للشرع في علم النفس يتخذ الكذب شعارًا والتدليس شعارًا؟ والليّ والانحراف في توجيه الآيات والأحاديث ومصادر الشرع الأخرى، منهج فاسد في الدين قبل البحث العلمي، فنسبة قول للنبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يصح، وتفسير آية لا يوافق بتفسيرها قواعد اللغة ولا قواعد الإسلام ولا قول الأئمة الأعلام، والتصريح بقول لأحد الأئمة هو المرجوح المردود واعتباره أصلًا من أصول البحث العلمي، ومثلما يقال في مصدر المعرفة الكبير (الشرع) يقال أيضًا عن علم النفس الحديث بقواعده وأصوله ومناهجه، فما وافق في هذا كله الشرع، فلابد من إثبات الفضل لأهله، ولا حاجة للتحريف والكتمان لما وصل إليه غيرنا من الحق والعدل والصواب.

وهذه قاعدة معمول بها في منهج كلية علم النفس الإسلامي فمواد التفسير والحديث والقواعد الفقهية وأصول الفقه لمنع التحريف في الشرع، ومواد مدارس علم النفس وتاريخ علم النفس

ومناقشة نظريات علم النفس الحديث في مظانها في العلاج والتحليل والنمو والتربية ترسي هذه القاعدة في نفوس طلاب الكلية في مرحلتي البكالوريوس والماجستير.

2) امتلاك رؤية نقدية يميز بها الباحث بين نظريات علم النفس.

وهذه لا يملكها إلا الطالب المحيط بالنظريات العلمية والمعرفة الواسعة بها وبأسباب وبيئة ونظر مؤسسيها، ويحمل قدرًا من المسؤولية العلمية، ولديه من الأساتذة والمشرفين الذين يطلقون له حرية الإبداع والابتكار والنقد العلمي المبني على القواعد والأصول، كما سيأتي بيانه في الفصل الأخير، **وهذا يدرس في كلية علم النفس الإسلامي في مادة مدارس علم النفس، ومادة قواعد الجمع بين تعارض النصوص.**

3) الوعي بالأسس الفلسفية للنظريات النفسية.

وهذه تحتاج لرصانة المنهج وكفاءة المدرسين؛ فالعمق في المدرسة النفسية أو التربوية والغوص في أصولها المعرفية والفلسفية وعدم الاقتصار على النواتج العامة، فإن الاقتصار على هذا ينتج خريجًا في شدة الضعف والحيرة والتردد، فلا يقوى على الجزم بصحة ما لديه أو بما لدى غيره والعكس، **وهذا يدرس في كلية علم النفس الإسلامي في نفس المواد في علم نفس المسنين والسجون والإرشاد الزواجي.**

4) وجود تصور عن طبيعة الإنسان.

وهي مسألة فارقة بين مدارس علم النفس المختلفة، بل ومن قبلها مدارس الفلسفة، فإما جسد بلا روح، وإما جسد وروح، وإما جسد وروح ونفس، **وهذا الأخير هو الذي اعتمده منهج كلية علم النفس الإسلامي ويتم تدريسه في مادة علم النفس الإسلامي، في شرح المصطلح المركب وشرح أجزائه المفردة (علم النفس الإسلامي).**

ومن المفيد الإشارة إلى التفريق بين علم النفس الديني أو الروحاني وبين جعل الدين مصدرًا أصيلًا لعلم النفس، وتسميته علمًا، وهو الذي اعتمدته الكلية.

5) وجود تصور عن طبيعة المجتمع

وهذا التصور قد كفانا الإسلام والشرع به، فالله تعالى قد صرح بأنه أعلم بخلقه وأبصر بهم وأعلم بما يحتاجونه في دينهم ودنياهم، ويبقى الجزء الأهم على الطالب أن يقرأ مجتمعه قراءة واقعية صحيحة دون

انحياز أو ميلان يمنع من الحيادية البحثية والعلمية، **وهذا يتم تناوله وبعمق في علم النفس العلاجي أو العيادي ومشكلات الأطفال والمراهقين والأزواج والمسنين وإدارة السجون، فهي قائمة على محورين، محور التأصيل والأصالة العلمية، ومحور الوعي بالفرد والمجتمع ومحركات ومحفزات كل منهما.**

6) إدراك المقاصد الشرعية الكبرى

ليفهم ويعي المراد من علم النفس الإسلامي فالمقصد العام من إنزال الشرع: هو تحقيق مصالح الخلق جميعًا في الدنيا والآخرة، ويتحقق هذا من خلال الجملة الكلية في أحكام الشريعة الإسلامية، ومقاصد الشرع تحوي مصالح الناس، وهي:

- الضروريات: و هي ما لا يستغني الناس عن وجودها بأي حال من الأحوال.
- الحاجيات: وهي ما يحتاج الناس إليه لتحقيق مصالح هامة في حياتهم، يؤدي غيابها إلى المشقة واختلال النظام العام للحياة، دون زواله من أصوله، كما يظهر في تفصيلات أحكام البيوع والزواج وسائر المعاملات.
- التحسينيات: وهي ما يتم بها اكتمال وتجميل أحوال الناس وتصرفاتهم، مثل الاعتناء بجمال الملبس وإعداد المأكل وجميع محاسن العادات في سلوك الناس.[42]
-

7) الأصل في الأفعال الإباحة أو الأشياء.[43]

وهي مسألة أصولية شرعية أن الأصل في الأشياء الإباحة[44] وليس التحريم حتى يدل الدليل على التحريم[45]، بخلاف العبادات التي الأصل فيها التحريم.[46]وهي مسائل يتم دراستها في كلية علم النفس الإسلامي في مواد مقاصد الشريعة، والقواعد الفقهية وغيرهما.

---

[42] - اللويحق، عبدالرحمن بن معلا، مقاصد الشريعة الإسلامية، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، تاريخ الإضافة: 2015/11/23 ميلادي - 1437/2/10 هجري

[43] - الصبيح، عبد الله بن ناصر، توظيف التأصيل الإسلامي لعلم النفس في تدريس مقررات علم النفس، إسلامية المعرفة السنة السابعة عشرة، العدد 65، صيف 1423، 2011 صـ86-92

[44] - الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (المتوفى: 476هـ)، التبصرة في أصول الفقه المحقق: د. محمد حسن هيتو الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: الأولى، 1403، صـ535

[45] - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: 911هـ)، الأشباه والنظائر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1990م، صـ60

ولا شك أن المنهج إذا بني على الأصول المعتبرة في الشرع وفي علم النفس بمفاهيمه الحديثة، سيضع المكوّن الرئيس لجودة المنتج العلمي والأكاديمي على الطريق الصحيح، ولهذا لا يكتفى فقط بكفاءة المنهج وجودته واعتماده على الأصول والأساسيات العلمية والمنطقية والفلسفية، بل لا بد من تطويره، فبدون عملية التطوير المستمر، والنقد الذاتي والتقييم والتقويم، فلن تتحقق الأهداف الكبرى للمناهج العلمية والتعليمية، فعملية التطوير مهمة فيما يلي:

- يتم تطوير المناهج بهدف تحقيق أهداف التعليم، ومن ثم فإن المنهج هو الوسيلة لتحقيق الأهداف التعليمية.
- ويجب تطوير المناهج لتحقيق الاستخدام السليم للوقت والطاقة: فهو يقدم إرشادات للمعلمين وكذلك للطلاب، ليتم الاستغلال الجيد لكليهما.
- والتطوير يدفع إلى اكتساب المعرفة، والمنهج هو الوسيلة لاكتساب هذه المعرفة، ومن هنا يجب تنوع المنهج المعرفي، وتطوير هذا المنهج لمواكبة المعرفة المتطورة والمتغيرة.
- تحديد بنية المحتوى، فمحتوى كل موضوع له هيكله الواسع الذي يجب تدريسه من المستوى الأدنى إلى المستوى الأعلى، وبالتالي فإن المهمة الرئيسة لتطوير المنهج هي تحديد هيكل المحتوى لمرحلة معينة من التدريس، وهكذا لكل مرحلة حتى تحقيق الأهداف العامة.
- ومن ذلك تنمية شخصية الباحث والطالب، فيعتبر المنهج أيضًا مهمًا في تنمية شخصية الطالب، ويتم تصميم المنهج الذي يساعد على تنمية الصفات الجيدة لدى الطلاب مثل النزاهة والصدق والهمة العالية والبصمة الشخصية والسمات الذاتية، ولا شك تسديد الكيان الأخلاقي لكل الطلبة بل والمعلمين، وبالتالي يلزم تطويره لتحقيق معنى المواءمة والمواكبة.
- يساعد التطوير المنهجي في إعداد الكتاب النصي، لو كانت هناك حاجة له؛ إذ يوفر المنهج دليلاً وأسسًا لإعداد الكتاب المنهجي لو تم اعتماد فكرة الكتاب، ومع التطوير يتم التغيير، فالتطوير للمنهج يساعد على ضبط مصادر المنهج أو الكتاب المعتمد في التدريس لتحقيق الهدف.
- فإذا اعتمد المنهج وتم تطويره فتطور تبعًا لذلم المنهج الدراسي بكتاب أو معلومات، فيلزم من هذا تطوير أساليب القياس من الامتحانات والمهام المطلوبة من الطلاب لقياس استيعابهم للمادة العلمية، فالمنهج وتطويره هو أساس التعلم وأساس التعليم وأساس الاختبار، بل ويساعد على

[46] - العتيبي، محمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر (المتوفى: 1430هـ)، أَفْعَالُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم وَدَلَالَتِهَا عَلَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعه والنشر والتوزيع، بيرت – لبنان الطبعة: السادسة، 1424 هـ - 2003 م (384/1).

تنظيم عملية التعلم وطرق التدريس، ومنهجية القياس، وتطوير المعرفة والمهارات والمواقف والقدرة الإبداعية لدى الأساتذة والطلاب والباحثين، كما أنه يساعد في تطوير الصفات القيادية.

وقد استقرت كلمة مجلس الأمناء لكلية علم النفس الإسلامي أننا أمام مقاربتين مختلفتي المنهج، متفقتي الهدف والمقصد:

•ممارسات، وهي التي تؤدي إلى ضبط المصطلحات وتحرير التعريفات، فيكون التطبيق العملي والممارسات السلوكية الواقعية هو النواة التي تنتج تعريفات وحدودًا ومعايير للعلم وفروعه.

•ضبط المصطلحات وتحرير الحدود والتعريفات، وهو الذي يؤدي إلى ظهور نظريات وحقائق وتقنيات يمكن استخدامها بوعي لتحقيق التطبيق والممارسة الفاعلة في خدمة المجتمع في كل المجالات.

ولكل وجهة هو موليها، وإن كنت أميل غالبًا إلى المقاربة الثانية، ولعل ذلك للخلفية الشرعية التي تنادي بأن الحكم على شيء فرع عن تصوره، وأن التعريفات، إن كانت جامعة مانعة، فهي الباب الأكبر لتحرير فروع أي علم، وأن الأصول أولى بالاهتمام والضبط من الفروع، فإن صح الأصل يصح الفرع غالبًا، ورغم قبولي بالمقاربة الأولى كذلك، وفق قاعدة متينة وأصيلة بأن تكون الممارسات منضبطة بشروط يتم التقعيد لها، حتى لا تتحول الناس والمؤسسات النفسية إلى معامل تجريبية بلا ضابط ولا هوية، ولأنها إسلامية فلابد أن تنطلق كذلك من عدم معارضتها ولا مخالفتها لصريح الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة، وفق ما هو متبع.

على أن ضبط بعض المصطلحات وتحرير بعض التعريفات مما من شأنه أن يحل كثيرًا من الإشكاليات ويجلي كثيرًا من الغموض، كتحرير معنى النفس في الإسلام، والروح، وكذلك الأفكار والمشاعر والاضطرابات.

ولأجل تحقيق الغاية والهدف من علم النفس الإسلامي تأصيلًا نظريًا وتطبيقًا عمليًا، لابد من توفر أمرين أساسين للباحث والمتخصص فيه:

•التمكن من العلوم الشرعية: وهي أصول الإسلام الأساسية من القرآن الكريم والسنة والإجماع والقياس, وأوجه الاستنباط والاستدلال، ومفاهيم الأدلة، ومقاصد الشريعة، والأحكام الفقهية المتعلقة بالطفل والمرأة والرجل على المستوى الفردي، والأسرة والمجتمع على المستوى الجمعي.

•التمكن من العلوم النفسية وما يوازيها: من الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ ولا سيما علم النفس الحديث والعام بفروعه وتخصصاته، والتعرف، بل والإتقان للنظريات والحقائق الثابتة منها، والتي يقرها الإسلام ويقبلها وفق منهج التجربة والملاحظة وغيرها من مناهج البحث.

والنتائج المطلوبة والمرجوة من الطالب في مرحلة ما قبل التخرج:

1. لديه المعرفة النظرية التي تقود إلى المهارات العملية للممارسة التي تدعمها المواد الدراسية الحالية المتعلقة باللتأصيل والتطوير في علم النفس الإسلامي.
2. يفكر ويطرح الأسئلة والتعليقات بطريقة إبداعية ونقدية وديناميكية باستخدام المعرفة والأدوات المكتسبة.
3. يستطيع تحليل وتجميع المعرفة في المجالات الفرعية لعلم النفس الإسلامي والتخصصات العلمية الأخرى الممتدة منه أو الممدة له.
4. لديه المهارات اللازمة لتحديد وتحليل وتقييم وإيجاد الحلول البديلة للمشكلات الشخصية و الاجتماعية التي يواجهها وتطبيق أفضل الحلول التي تعالجها المعرفة العلمية.
5. يختار طريقة البحث المختلفة التي يعتمدها من حيث نوع البحث وموضوعه.
6. يفسر النتائج التي تم الحصول عليها من البحث وفقًا للقواعد العلمية المعتمدة والتي تبث القوة والثقة في المخرجات البحثية لديه، مع رفع التقارير التي تدعم وتلخص نتائجه.
7. يعرض نتائج الأبحاث في المؤتمرات المحلية والدولية وينشرها في المجلات العلمية والكتب والمصادر المماثلة.
8. يمكن أن يستخدم بشكل فعال الأساليب المناسبة لعرض المعرفة العلمية ومشاركتها ومناقشتها.
9. المعرفة بأدوات القياس في علم النفس التطبيقي وتطبيقاتها وتقويماتها وتقاريرها.
10. يستطيع استخدام المكتبة وقواعد البيانات العلمية والإنترنت ومصادر المعلومات الأخرى بشكل فعال.
11. يستخدم المعرفة المكتسبة من خلال الالتزام بالمبادئ الأخلاقية المهنية.
12. يقر بأهمية الفروق الفردية والتنوع في للحياة.

الفصل الخامس:

عقلية التعلم وإطلاق يد الباحث في علم النفس الإسلامي وفق قواعد التأصيل، ونموذج كلية علم النفس الإسلامي.

من الطريف أن نذكر بهذه المناسبة أنّ علماء النفس في أوروبا و خاصة البريطانيين والفرنسيين قد تذمّروا من تأثير علم النفس الأمريكي في طلابهم، فقالوا بأنّ أمريكا قد هيمنت على هذا التخصص بالأعداد الهائلة للمتخصصين فيها وبما تنفقه على الأبحاث النفسية وكتبها ومطبوعاتها الراقية وأفلامها الشيّقة حتى "تأمْرَك "الخريجون من الجامعات الأوروبية، كما ذكروا أنّ معظم الدراسات الميدانية –خصوصًا في علم النفس الاجتماعي-تأتي من تطبيقات تجريبية على طلاب الجامعات الأمريكية فيتقبلها الدارسون في أوروبا خطأ على أنّها تمثل السلوك الإنساني بشكلٍ عام، كما انتقدوا الأمريكيين لمبالغتهم في تعميم الأبحاث التجريبية على الفئران والحمام لتشمل سلوك الإنسان ، ويكفي القارئ الاطلاع على ما بعض بحوث هانز أيزنك للتعرف على بعض هذه الاعتراضات[47]

فإذا كان الروس والصينيّون قد رفضوا نقلَ العلوم النفسية الغربية حفاظًا على معتقداتهم الماركسية، وإذا كان الكاثوليك قد ابتدعوا علم نفس لا يتعارض مع فكرهم الديني، وحتى الأوروبيون أنفسهم خافوا على ضياع ثقافتهم القومية من التأثير الأمريكي مع أنّ المنهج الغربية لا تختلف كثيرًا بين ضفتي المحيط الأطلس[48] فما بال المسلمين يفرض عليهم فرضًا نمطية ومنهجة لا تتناسب ولا تتوائم مع دينهم وطبيعة حياتهم، وفروقهم الفردية والمجتمعية والبيئية ؟!

أَحرامٌ عَلى بَلابِلِهِ الدَوحُ* حَلالٌ لِلطَيرِ مِن كُلِّ جِنسِ[49]

لذلك كان لزاماً على واضعي مقررات علم النفس وأساتذته أن يوضحوا الفروق بين ما هو علمي وما هو ادعاء للعلمية وبين ما يستند إلى إثبات تجريبي حقيقي وما يقوم على الفلسفة الوضعية وأهواء الرجال.

---

[47] - Eysenck, H. J., "Cross-cultural psychology and the unification"

[48] - من قضايا التأصيل الإسلامي لمناهج علم النفس في الجامعات الإسلامية ووقفات مع أبي زيد البلخي – د. مالك بابكر بدري مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا المجلد 20 العدد 39 ص14

[49] - من قصيدة اختلاف الليل والنهار، أحمد شوقي، ديوان مصر.

ومن الضروري أن يكون ذلك واضحًا لا لبس فيه حتى تتكوّن لدى الطالب ملكة الفرقان ويتدرب على نقد المواد النفسية ويسمو بنفسه عن قبول كل ما هو مطبوع في كتاب قام بتأليفه عالم لم يدخل الإيمان في قلبه ويجب أن يوضح للدارسين أنّ ما يقرره أساطين علم النفس الغربي من مناهج أو مدارس نفسية لا تستند إلا على تصوراتهم الخاصة عن طبيعة الإنسان. وهذا التصور لطبيعة الإنسان لكل مؤسس لمنهج من المناهج يصبح حجر الزاوية لنظرياته وممارساته العملية.

يجب على أساتذتنا أن يوضحوا لطلابهم أنّ فرويد وروجرز وواطسن وغيرهم من أصحاب المناهج والمدارس النفسية لم يدخلوا في مختبرات تجريبية قاموا فيها بشتى التجارب العلمية ليخرجوا لنا باكتشافات محددة عن طبيعة الإنسان، فما يقدمونه لنا في هذا الموضوع لا يعدو أن يكون من بنات أفكارهم ومن تأثير حضارتهم وحتى من تأثير حياتهم الشخصية وتربية آبائهم لهم ومن مشاكلهم النفسية مثلاً، ما الإنسان في نظر فرويد؟ إن الإنسان، كما قرر مؤسس التحليل النفسي عام 1917م بطبعه أناني تتحكم فيه غرائزه الجنسية والعدوانية اللاواعية، وطبيعته الحقيقية لا تظهر إلا بعد أن يصاب بمرض الاكتئاب، ذلك المرض الذي يشعر فيه المريض بأنه مثقل بالذنوب، وبأنه لا يستحق ما يقدمه له أهله من عون.[50]

فنحتاج لمنهج، ونحتاج لتفاصيل المنهج، وكوادر لتدريس المنهج، وطلاب لتلقي المنهج، وباحثين يتبنوا المنهج، ولا يمكن لهذا كله أن يتحقق بدون عقلية التعلم المؤمنة بهذا التأصيل.

ولا يمكن للبحث العلمي في مجال علم النفس الإسلامي أن ينهض ويتبوأ مكانته التي يستحقها إلا بجودة الأبحاث وتميز المؤلفات ورصانة المخرجات العلمية، فلابد الاعتماد على الحقائق والشواهد والابتعاد عن التأملات والمعلومات التى لا تستند على أسس حقيقية وبراهين واضحة، كما ينبغي الاعتماد على الموضوعية فى الوصول إلى المعرفة التي لا يطرأ عليها الشك أو التوهم، والابتعاد عن العواطف المجردة و التحيز غير اللائق بالأبحاث العلمية.

وإشكالية العقل هو في نقص العلم والمعرفة فيه، فالإنسان قادر على فعل أشياء عظيمة التأثير، ولكنه لا يعرف ما يستطيع فعله إلا بمقدار علمه، وكل ما تجدد من أفعال عظيمة في الكون هي ممكنة لعقل

---

[50] - Burns, David D.,Feeling Good: The Mood Therapy(New York: New American Library,1980), pp.52-54.

الإنسان من أول يوم، والقدرة لم تكن ناشئة إلا في حدوثها، وليس في أصل وجودها، ولما جاء جاء إحداثها.[51]

وإن تبني عقلية التعلم يتطلب الممارسة ولكنه يؤتي ثماره عندما يتعلق الأمر بالنمو الشخصي والتنمية الخاصة بل والمؤسسية كذلك، بل يعد تطوير عقلية التعلم طريقة رائعة لاكتساب ميزة تنافسية في حياة الإنسان الشخصية والمهنية، ويتعلق الأمر بالعقل المنفتح والاستعداد للتعامل مع الأفكار والفرص الجديدة للنمو.

وتغيير طريقة التفكير للأفضل هو من المعارك اليومية التي يجب على كل البشر خوضها، وهو في نفس الوقت من أصعبها وأدقها، وتستلزم أدوات من التعلم والعمل و قدرًا من الصبر والمثابرة، وقدرًا آخر من الشغف وحب التعلم، لكن في النهاية هذا هو الفرق بين شخص يصل لهدفه وآخر يتذرّع بالأعذار عند كل مطب في الطريق.

فقد نرى المعلم الذي يحمل هذه العقلية المرنة القابلة للتعلم حين يقف في صفه معلمًا ومرشدًا، يوجه طلابه لطريقة مثالية لحل بعض المسائل، فيبادره أحد طلابه بطريقة أخرى ناجحة وفاعلة لحل نفس المسائل، فإذا به يفرح بالتعلم، ويبادر بالتفكير والتحليل المجرد غير المنحاز، ويثني على عقل الطالب المبدع والمبتكر، بل ويضيف طريقة الطالب إلى منهج الدراسة إن تأكد من صحة مسارات الحل.

أما العقلية الجامدة المتحجرة التصلب الثابتة التي لا تتمدد ولا تنمو ولا تتطور فيتحول عند هذه الحالة إلى ديكتاتور سلطوي يتهم طلابه بالجهل والتخلف، وأنهم لن يحققوا النجاح في المادة العلمية بله الحياة كلها.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الناس مشاورة لأصحابه،[52] ونزولًا على رأي بعضهم، ففي غَزوة الأحزاب، عَلِم النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن قريشًا وحلفاءها وقبائل غطفان قد خرجَتْ صَوب المدينة تُريد غزْوها واستِئصال مَن فيها، فعقد النبي صلى الله عليه وسلم مَجلِسًا استِشاريًّا شاوَر فيه

---

[51] - الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق، الفصل بين النفس والعقل، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الأولى، 1439هـ (ص116-117)

[52] - البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت الأولى، 1408 هـ - 1988 م رقم (4872).

أصحابه حول خطَّة الدِّفاع التي يَدفعون بها هذه الجيوشَ الجرَّارة، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفْر الخَندق للحَيلولة دون دخول تلك الأحزاب إلى المدينة، فوافَق النبيُّ صلى الله عليه وسلم على هذا الرأيِ وباشَر تطبيقه.[53]

فالعقلية الثابتة التصلب الجامدة يؤمن أصحابها أن حالهم الذي ولدوا عليه هو قدرهم الذي لا يقبل التغيير، ويدخل في ذلك رزقهم؛ فإن ولدوا فقراء لا يمكن أن يخرجوا من تلك الدائرة، وإن ولدوا بذكاء محدود فلا يمكن زعزعة نسبته للأعلى، وأنهم إما جيدون في مهارة ما أو يبتعدون عنها دون محاولة.

وأنّى تتحقق هذه العقلية بل ونتاجها العلمي والمعرفي مع وهم الانتظار وضعف المبادرة ومرض الاكتفاء المعرفي والتبعية العلمية وغيرها من المعوقات؟!

إن حب المعرفة والاحتفال بالجديد لعلها أهم صفة بين صفات المفكر الباحث ؛ لأن الوله الشديد بمعرفة الجديد وبصياغة المفاهيم والرؤى الكلية، هو الذي به يملك طالب العلم فضيلة المتابعة في تنمية عقليته وإثراء مفاهيمه واكتشاف الوجود الذي يعيش فيه.

إن طلاب العلم المبتدئين يفرحون بالمعلومة التي يحصلون عليها، ولا سيما إذا كانت من باب الغريب والطريف، أما المفكر فيبتهج أشد الابتهاج بقانون يكتشفه أو ملاحظة ذكية يلتقطها، أو رؤية جديدة يبلورها، وإنك لترى الواحد من المفكرين يطرب لمقولة عظيمة يقوم بصياغتها أياماً عديدة، وهو يتنعم بها، وكأنه عثر على كنز من الكنوز أو مفتاح لمنجم ذهب، وما ذلك إلا لأن المفكر يعرف قيمة المفاهيم الجيدة، ويعرف دورها المحوري في تقدم الحياة الفكرية...ومن المؤسف في هذا السياق أن مدارسنا وجامعاتنا لا تنمي هذه الروح لدى الطلاب، بل كثيراً ما تقوم بقتلها من خلال المناهج المختزلة والامتحانات السهلة والسخاء البالغ في منح الدرجات.

إن على مَنْ يسعى لأن يكون بين المفكرين أن يدرك أن طريق المفكرين يبدأ بحب البحث، وينتهي بالتفاني في البحث.[54]

---

[53] - الجادعي، منصور صالح، صور من مشاورات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، مقال منشور بتاريخ 2012/6/7

[54] - بكار، عبد الكريم، تكوين المفكر، مكتبة الأسرة العربية إسطنبول الطبعة الأولى 2018 ص20-21 بتصرف يسير

وأخذت كلية علم النفس الإسلامي على عاتقها رفع راية التحرر العلمي المنضبط بالشرع، وتنمية العقل البحثي والنقدي لدى الطالب، وقد وجد أساتذة الكلية في البداية مقاومة ومعارضة نفسية ومعرفية من الطلاب لا سيما في المواد المعتمدة على الشريعة كالتفسيروالحديث وأصول الفقه.

إذ يطلب من الطلاب في مرحلة ما قبل التخرج أو البكالوريوس تقديم مجموعة من المهام البحثية العلمية أو الفكرية كذلك، فيطلب منهم إطلاق العنان لأفكارهم وخبراتهم وتصوراتهم الذهنية والمعرفية عن موضوع المهام أو الأبحاث أو الأوراق العلمية في أي مادة، ثم تتم مناقشتها مع أستاذ المادة، بل ومع الزملاء، ثم تأتي خطوة المقارنة بين ما تمخض عنه عقل وفكر الطالب وبين النتاج السابق من العلماء أو المثقفين المتخصصين.

وليس هذا إلا لتوجيه الطالب إلى الاعتماد على الله تعالى ثم الثقة بالمبادرة والمعرفة الشخصية وقراءته للمجتمع ومعرفته بالأحوال النفسية والاجتماعية لما حوله.

والمقاومة النفسية التي تكونت في نفوس بعض الطلاب بسبب تصوراتهم السابقة عن الكلام في قواعد الشريعة وأصولها دون معرفة سابقة أو علم مسبق، وتهيب بعضهم الكلام في القرآن والسنة، حتى وصلنا في نهاية أحد الفصول بالكلام على ما يمكن استنباطه من قول الله تعالى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)[55] في قواعد علم النفس التربوي فكان من استنباطات الطلاب المميزة أنه يجب تربية الطفل على إثبات الحقوق أولًا، ثم المطالبة بالتسامح والعفو ثانيًا، وأنه من الخطأ التربوي نفي حق الطفل – إن كان له حق – في موضوع ما، ومطالبته بالسماح أو العفو قبل إثبات الحق.

ولا تخلو مادة التفسير والحديث والاستنباط من القرآن من إبداعات موفقة تتوافق مع اللغة العربية وأقوال المفسرين السابقين والمحدثين، وترسي وتؤصل إلى مفاهيم منهجية واضحة في فروع علم النفس المختلفة.

وتم الاتفاق مع قادة العلم في الكلية في المواد المختلفة بإطلاق سراح العقول، ودعم الابتكار، وتوجيه الإبداع وفق القواعد التي أرستها الشريعة، وسددتها المصادر، فانفتاح المناقشات، وانشراح الصدور ،

---

[55] - سورة الشورى : 49

وقبول اختلاف الطلاب مع الأساتذة، وعدم الزج بالشخصنة في قاعة التدريس، مع الاحترام المتبادل بين الطلاب وأساتذتهم، حتى أصبح الابتكار والتفكير خارج الصندوق هو المنهج الذي يتبناه الطلاب مع أساتذتهم.

ومن أهم ما تم التركيز عليه في مناهج التدريس والتطوير لكلية علم النفس الإسلامي ودعم الأداء التدريسي، هو هدم وهم الانتظاء وضعف المبادرة.

فقد توهم الكثيرون أنه لابد من وجود مخلص أو منقذ لينتشل الإنسان والمجتمعات من الضعف إلى القوة، ومن الجهل إلى العلم، ومن الانحطاط إلى التفرد والتميز، وهو منهج فاسد وطريقة مؤذية توحي لأفراد المجتمع أنه ليس في الإمكان أحسن مما كان، وأن الانتظار هو أفضل ما يمكن أن يقدمونه، وأنه ليس من مهمات الطالب المشاركة الفعالة للعلم والمعرفة، بحيث يتلقى دون وعي أو فكر أو تحليل أو نقد، بل يتلقى ويتلقى، دون الحاجة إلى التطوير.

ومع إيمان الأستاذ والطالب أنه لا مكان للانتظار، فلا بد أن تقوى المبادرة، ويثق الأستاذ والطالب والهيئة الأكاديمية والمطورون للمناهج التدريسية ومجلس الأمناء أن المبادرة واجبة ولازمة في هذا المرحلة، **فعلم النفس الإسلامي وليد من حيث العمل الأكاديمي، لكنه بالغ وراشد وعاقل من حيث المصدرية والتراث العلمي والتراكمي في الإسلام.**

وقد آلت كلية علم النفس الإسلامي على نفسها هدم هذه النظرية الموهومة المؤذية "وهم الانتظار وضعف المبادرة" وفي ظني ورؤيتي أنها هدمت في عقول كثير من الطلاب، إلا أن المشكلة تكمن أن غالب الطلاب الجدد الملتحقين بالبرنامج يحملون نفس الفكر ويتبنون هذا الوهم كحقيقة راسخة، فوجه الصعوبة والمعاناة أن يتكرر الكلام ويتم التركيز على الفكرة حتى تتضح لكل طالب جديد الانتساب، وتستبدل هذه القناعات الموهومة بالحقيقية التي ينبغي أن يتبناها.

وتبنت الكلية منهج التحفيز الإيجابي لطلابها وأساتذتها على وجه سواء، وعدم الانسياق خلف الفكرة الباطلة بوهم الاكتفاء العلمي؛ فمع المحبرة إلى المقبرة، والباحث المسلم والعالم محفز بعشرات بل مئات النصوص الشرعية المعظمة والمادحة للعلم وأهله وطلبته والعاملين به والباحثين فيه، وتعد القدرة على تحفيز الإنسان لنفسه، التحفيز الذاتي، مهارة مهمة، فيدفع التحفيز الذاتي الأشخاص إلى الاستمرار حتى في مواجهة النكسات، واغتنام الفرص، وإظهار الالتزام بما يريدون تحقيقه ، فالدافع هو ما يدفع الباحث

لتحقيق أهدافه العلمية والأكاديمية، والشعور بالرضا أكثر، وتحسين نوعية الحياة بشكل عام، وإن فهم الدافع الذاتي لدى الباحث وتطويره يمكن أن يساعده في السيطرة على العديد من الجوانب الأخرى في حياته وليس فقط مجال البحث العلمي، ويعد الدافع أحد المجالات الثلاثة للمهارات الشخصية التي تعد جزءًا لا يتجزأ من مفهوم الذكاء العاطفي، وزيادة الدافع يعني قبول التحديات التي تساعد الأشخاص لا سيما الباحثين على البقاء منخرطين في مساعيهم الشخصية أو المهنية أو الأكاديمية، بالإضافة إلى الاستفادة من شعور الإنجاز الذي يأتي من التعلم، فإن الأشخاص الذين يعتقدون أنهم قادرون على التغيير والنمو يظهرون مستويات أعلى من الحماس والإنجاز.

إن دعم عقلية التعلم لدى الطلاب والأساتذة في الكلية ستجبر مطوري البرامج العلمية الأكاديمية المختلفة للتعامل مع هذه العقلية بالاهتمام بجانب تطوير المناهج بحيث يواكب العقلية المتعلمة المتحررة المنطلقة، كما تواكب الاحتياجات المتغيرة والمتسارعة في البحث العلمي لا سيما في علم النفس الإسلامي كما يواكب حاجات المجتمع والأفراد داخل المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية.

إن كلية علم النفس الإسلامي بدأت برامجها منذ نشأة الفكرة حتى بدء الدراسة وفق المكونات الأربعة الرئيسة:

- المكون العقائدي أو ما يطلق عليه الفلسفي: وهو الإطار المرجعي الذي تنطلق منه الفلسفة التعليمية والتربوية والمصدر الأساس الذي يبنى عليه المنهج وهي القواعد الشرعية المصدرية التي آمن بها واضع المنهج، بل وهي التي تقدم للطلاب في بيئة الدراسة، ويتم التركيز عليها من خلال التفاعل بين الأساتذة والطلاب، وهي التي تحكم رؤية الأساتذة للمواد التي يدرسونها.
- المكون المعرفي: وهو الأساس العلمي، وهو النظرية المعرفية الإسلامية فإن لكل علم بنية معرفية خاصة به، ولكل علم بناء، فأخذ واضع المنهج ومطوره في الحسبان مصدرية المعرفة الإسلامية التي تشمل الإحاطة بالقواعد العامة بل والتفصيلية لعلم النفس الحديث، والتعامل مع الحقائق والمعارف الثابتة وفق النظرية المعرفية وليس مع التأويلات والظنون والأفكار غير المدروسة أو المحققة، فليس للتمني مكان في وضع المنهج في كلية علم النفس الإسلامي.
- المكون الاجتماعي: وهو المنطلق من القيم والعادات والتقاليد التي يؤمن بها هذا المجتمع والتي لا تتعارض مع القيم الإسلامية الأصيلة، وهي مسألة – رغم صعوبتها – لم يجد واضع المنهج صعوبة فيها، فمع أن الدراسة في الكلية على الشبكة العنكبوتية، استلزم هذا تنوع الطلاب في المراحل

المختلفة، فكما لدينا طلاب من الشيشان وروسيا، لدينا طلاب من الصومال والسودان وتشاد ومصر والمغرب والجزائر، كذلك من ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك من قطر والسعودية والإمارات وسلطنة عمان، وكذلك مصر وتركيا، وهو تشكيل كبير ومتنوع في بيئات الطلاب، إلا أن الجميع يشترك في الإسلام قواعد وأصولًا، ومخرجًا ونتائج، فلا يقدم للطلاب في الكلية أسس تخالف قيم وعادات وتقاليد المجتمات التي يتبنى أفرادها الإسلام دينًا ومنهجًا وطريقة حياة.

- ❖ المكون النفسي: وهو ما يتعلق بجانب النمو الذهني والنفسي، ما يتعلق بالقدرات، والإمكانات، والكفاءات بمراحل النمو، وكل طلاب الكلية من البالغين، ويتم التعاطي معهم وفق قواعد (تعليم الكبار)؛ حيث الإيمان بقدراتهم وكفاءاتهم وخبراتهم المتراكمة، وتنوع تخصصاتهم العلمية قبل الالتحاق بالكلية، وهذا الفهم أساس في المكون النفسي، فالمنهج بتفاصيله وتطويره يخضع في جزء مهم منه للقدرات المتنوعة والميول الواضحة ومستويات الإدراك المناسبة، مع دعم عقلية التعلم، وتحرر العقل بما يجلب السواء النفسي والاتزان الانفعالي.

خاتمة البحث

إن المقاربة التي اختارها واضعوا المنهج في كلية علم النفس الإسلامي، هي المقاربة الأصعب لكنها الأنفع، فالتأسيس والتأصيل، وتحقيق البناء الأكاديمي وفق النظرية المعرفية الإسلامية، وتأصيل القواعد والأسس والمبادئ المعرفية الإسلامية في عقل ونفس وكيان الطالب والأستاذ تدفع دفعًا لتملك الأدوات التي تعين على الانطلاق البحثي والتحرر الأكاديمي من التقليد والنقل المجرد والبحث المقيد، فليست القضية في كلية علم النفس الإسلامي مجرد التخرج، بل تكوين عقلية الباحث المفكر والبناء المنهجي الحقيقي لقواعد الإسلام وعلم النفس، التي يمكن بدمجها تخريج باحث نفس إسلامي أو إسلامي نفسي لمعالجة القضايا النفسية والتربوية للأفراد والمؤسسات والمجتمعات.

وإن من المبشرات العلمية والأكاديمية التي تعلن بها كلية علم النفس الإسلامي عن نفسها صدور الإذن لإنشاء المجلة المحكمة التابعة لكلية علم النفس الإسلامي (بادر) والتي حكم فيها بحث لمجموعة من طلاب ما قبل التخرج، إذ قرر رئيس اللجنة التحكيمية نشر البحث دون علم منه بأن البحث لمجموعة طلاب بعضهم في السنة الأولى من الدراسة، وليس لأساتذة أكاديميين لهم عدة سنوات في مجال البحث العلمي.

بل ومن المبشرات الإعلان وتنفيذ الملتقى الأول لكلية علم النفس الإسلامي تحت شعار (ومنا وإلى العالم) إذ لم يتكلم في الملتقى سوى أساتذة الكلية وطلابها، مع مشاركة أساتذة أكاديميين من شتى أنحاء العالم، الذي لم يصدق بعضهم أن المتحدثين طلاب في الكلية، وهذا منتج المنهج التعلمي المبني على فلسفة التعاون والتحرر المنضبط لأفكار المنتمين للكلية ومناقشات هذه الأفكار دون تردد أو خوف.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ) سنن الدارقطني ،حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م

- Burns, David D.,Feeling Good: The Mood Therapy(New York: New American Library,1980), pp.52-54.

- Eysenck, H. J., "Cross-cultural psychology and the unification"

- أبو زيد، بكر بن عبد الله، مجموعة بحوث تأصيليَّة عن الأمانة العلمية، في كتاب: "تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال"؛ من (الردود).

- البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت الأولى، 1408 هـ - 1988 م

- الجادعي، منصور صالح ، صور من مشاورات النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، مقال منشور بتاريخ 2012/6/7

- الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون ،

- الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية مقدمة في التفسير من "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين الأشباه والنظائر، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1990م،

- الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف التبصرة في أصول الفقه المحقق: د. محمد حسن هيتو الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة: الأولى، 1403،

- الصبيح، عبد الله بن ناصر، توظيف التأصيل الإسلامي لعلم النفس في تدريس مقررات علم النفس ، إسلامية المعرفة السنة السابعة عشرة، العدد 65، صيف 1423، 2011

- الطريفي، عبد العزيز بن مرزوق، الفصل بين النفس والعقل، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الأولى، 1439هـ

- العتيبي، محمد بن سليمان بن عبد الله الأشقر، أَفْعَالُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم وَدَلاَلَتَهَا عَلَى الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعه والنشر والتوزيع، بيرت – لبنان الطبعة: السادسة، 1424 هـ - 2003 م

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي قواعد العقائد المؤلف: المحقق: موسى محمد علي الناشر: عالم الكتب – لبنان الطبعة: الثانية، 1405هـ - 1985م

- اللويحق، عبدالرحمن بن معلا، مقاصد الشريعة الإسلامية، مقال منشور على الشبكة العنكبوتية، تاريخ الإضافة: 2015/11/23 ميلادي - 1437/2/10 هجري

- برناوي، محمد إبراهيم، خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: ربيع الآخر - رمضان 1401 هـ

- بكار، عبد الكريم، تكوين المفكر، مكتبة الأسرة العربية إسطنبول الطبعة الأولى 2018 بتصرف يسير

- حسنة، عمر، البعد المصدري لفقه النصوص مقدمة من مطبوعات كتاب الأمة العدد 113 جمادى الأولى 1427 السنة السادسة والعشرون

- زكي، أحمد، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ص234، بيروت – لبنان، 1977.

- عباس، محمد فاضل، نظرية المعرفة إمكانها أدواتها مصادرها طبيعتها كما فهمها العرب المعاصرون، كلية الآداب، مجلة الآداب، آذار 2020، عدد رقم 132

- مائة النفس والحياة، كتاب مخطوط للباحث

- مصطفى، محمد محمود ،المدخل إلى علم النفس الإسلامي، مكتبة الأسرة العربية، إسطنبول- تركيا، الطبعة الأولى 2023

- قصيدة اختلاف الليل والنهار، أحمد شوقي ، ديوان مصر، دار الكتب المصرية – الأعمال الكاملة 1998

- من قضايا التأصيل الإسلامي لمناهج علم النفس في الجامعات الإسلامية ووقفات مع أبي زيد البلخي – د. مالك بابكر بدري مجلة التجديد ، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا المجلد 20 العدد 39

-شوق، محمود أحمد، الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية ، دار الفكر العربي عام النشر: 1421هـ- 2001م.